نافذة

القضية الجوهر

ليس الأهم في الحياة عدد حروف الكلمات التي يعبر بها الإنسان عن موقف أو قضية أو حالة إنسانية وسوى ذلك. أحياناً كلمة واحدة من حرفين تعبر عن كل ما تستطيع الكلمات مجتمعة أن تعبر عنه، الحياة ذاتها كلمة من أربعة حروف تعبر عن الوجود بكل ما فيه من هواء وماء ونار وتراب. كلمة الحياة بكل ما فيها من نبض تتشكل من أربعة حروف، كذلك الـ«حب» الذي يصنع المعجزات في الحياة ما دام الإنسان قادراً على ممارسته بصدق، كذلك الـ«أم» أو الـ«أب» اللذان يصنعان معاً أسرة ومنها تتشكل ذرية لا يعد أفرادها، كذلك ثمة كلمات لا تعد تتشكل من حرفين لا أكثر.

وإذا ما تخطينا الحرفين إلى ثلاثة لما وسعتنا صفحات كي نأتي بها مثلاً على قيمة الحرف بحدّ ذاته لا بعدده فحسب، ولأن الحروف تصنع الكلمات والكلمات تصنع العبارات، فإنها تبقى الركيزة لكل الأقوال التي قيلت أو يمكن أن تقال، إنها الركيزة لبناء الفكر وبمقدار ما تكون فاعلة في هذا الحقل، يكون الفكر فاعلاً في سياق العلاقات بين الأفراد كما بين الدول.

في التاريخ ثمة كلمات لابد أنها قيلت فأشعلت حروباً، وثمة كلمات لابد أنها قيلت فمهدت للسلام، لهذا الاعتبار يمكن القول إن النطق بكلمة مسؤولية تحمل صاحبها وزر الخطيئة أو تنجيه من تبعاتها، وبمقدار ما يقدر المرء قيمتها في صنع الحرب والسلام، تأخذ مكانها في الذاكرة البشرية لجهة الصواب أو الخطأ، لجهة البناء أو الهدم، لجهة الخلود كما الأقوال المأثورة أو الاندثار كما لو أنها لم تكن.

وإذا عاد أحدنا إلى كتب الأقوال المأثورة على سبيل المثال، لابد أن يفاجأ بعمق الكلمات لا المقالات في قراءة تاريخ البشرية، إن أقوالاً لعظماء الفكر العالمي والمعاصر أحياناً تأسر قارئها، ومن هنا أهميتها، وخصوصاً عندما تحفزه على تفهم ما تعنيه، من هنا عظمة الكلمة، بمعانيها ومقاصدها، وليس بعدد حروفها، وسابقاً قيل خير الكلام ما قل ودل، وفي لغتنا العربية كلمات، في سياق هذه المعادلة لا تحصى ولا تعدّ إذا ما عاد أحدنا إلى معاجم اللغة ومفرداتها وكلماتها المشكلة من حرفين لا أكثر.

يقول القديس أفتيموس المعروف بالكبير (٣٧٧-٤٦٥): الرجل الجدير برجولته عليه أن يفكر جيداً ويختصر فيما سيقوله.

بهذا المعنى، قد تساعده كلمته على الربح وإلا مني بالخسارة، كذلك هو حال من يتبجح بقوله سوف أفعل كذا وكذا ولا يفعل شيئاً، والأمثلة أكثر من أن تحصى على الجانب المعادي لسورية في الزمن الراهن.

د. اسكندر لوقا

الشعر السوري في أمسية

تتشرف وزارة الثقافة واتحاد الكتّاب العرب واتحاد الناشرين السوريين بدعوتكم لحضور أيام الشعر في سورية، وذلك يومي الخميس والجمعة ١ و٢ أيلول ٢٠١٦ في مكتبة الأسد الوطنيّة في دمشق. ضيفا الشرف الشاعران العربيان: «محمد علي شمس الدين»، و«صلاح أبو لاوي» والشعراء المشاركون في الجلسة الأولى: «فايز خضور»، و«إبراهيم عباس ياسين»، ود.«وفيق سليطين»، و«ليندا إبراهيم»، ود. «ثائر زين الدين»، ود. «صابر فلحوط». وسيكون رئيس الجلسة «محمد حديفي». أمّا الشعراء المشاركون في الجلسة الثانية فهم: «خالد أبو خالد»، و«محمد رجب رجب»، ود. «نزار بريك هنيدي»، ومناة الخيّر»، و«فادية غيبور»، و«انتصار سليمان». ويرأس الجلسة د.«نزار بني مرجة».

الشعراء المشاركون في اليوم الثاني ٢ أيلول وفي الجلسة الأولى: د.«محمد علي شمس الدين»، و«عبد الكريم الناعم»، و«محمد حديفي»، و«صقر عليشي»، و«بديع صقور»، و«محمود نقشو». ويرأس الجلسة: «صالح هواري». وفي الجلسة الثانية يشارك: «صلاح أبو لاوي»، «غادة اليوسف»، و«توفيق أحمد»، ود. «نذير العظمة»، و«سليمان السمان»، و«محي الدين محمد». يرأس الجلسة: د.«راتب سكر».

الفرقة السيمفونية الوطنية في حفلها الدوري بدار الأسد

تحيي الفرقة السيمفونية الوطنية السورية بقيادة قائدها الأساسي المايسترو ميساك باغبودريان أمسية موسيقية غنائية ضمن حفلاتها الدورية وبمشاركة مغنية الأوبرا السورية سوزان حداد، وذلك مساء اليوم بتمام الساعة السابعة على مسرح الدراما في دار الأسد للثقافة والفنون- أوبرا دمشق.

اختارت الفرقة برنامجاً دسماً لها في هذه الأمسية حيث ستعزف افتتاحية البارون الغجري من أوبريت البارون الغجري لشترواس الابن، وتؤدي الأوبرالية سوزان حداد أغنيتين هما «يا طيور» من توزيع نوري الرحباني و«يا زهرة في خيالي» لفريد الأطرش من توزيع ناريك عبجان بألوان صوتية مختلفة، والقسم الأخير للحفل يخصص لأداء السيمفونية الثامنة لديفورجاك.

العقل السوري لمّاح لو منح الإمكانات لكنا نحلق في الفضاء منذ زمن

طالب عمران لـ«الوطن»: كلّ ما يحدث الآن وما سيحدث هو ضمن كتاباتي وتصوراتي

عامر فؤاد عامر

تفرّد في لغة أدب الخيال العلمي على الصعيدين المحلّي والعربي، وتضمّنت مؤلفاته الثلاثة والثمانون لغة من التنبؤ لتاريخ المستقبل القادم. يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة التفاضليّة والفلك من جامعة «عُليكرة» في الهند، وله باعٌ في لغة التعليم والتدّريس في جامعات عدّة في سورية، والجزائر، والهند، وسلطنة عمان. يُتقن عدداً من اللغات، وله العديد من الأبحاث العلميّة، كما كان ممثلاً للعرب في مؤتمرات علميّة، وأدبيّة عالميّة، وحصد جائزة أفضل رواية عربيّة في أدب الخيال العلمي في تقرير المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم «أليسكو» عن رواية «الأزمان المظلمة». في رصيده برامج تلفزيونيّة وإذاعيّة كثيرة، منها «ظواهر مدهشة» المستمر في إذاعة دمشق كلّ يوم اثنين، والذي تجاوز عدد حلقاته الـ١٠٠٠ حلقة.

الدكتور «طالب عمران» وحول مادّة الخيال العلمي، وشروطها، ومواضيع أخرى يجيبنا عنها في هذا الحوار:

طالب عمران مع الزميل عامر فؤاد عامر

أثناء تكريمه

• تعدّ مادة الخيال العلمي مادّة مشوّقة لشريحة الشباب خصوصاً. فإلى أي مدى وجدت أنها مؤثرة فيهم؟

مادّة الخيال العلمي يمكن أن تكون مادة مقررة في المناهج المدرسيّة، ويمكن أن تكون في مناهج الجامعة. ويجب أن تكون حتميّة في مفردات المناهج، وذلك لسبب مهمّ جداً، وهو أنها مادّة تهتم بالمستقبل، فكاتب الخيال العلمي الجادّ يهتمّ بالمستقبل، لأنه مؤرخٌ للمستقبل، وإن كان جاداً فعلاً، فهو يطلّ على المستقبل في إطلالة فيها الكثير من المعطيات التي قد تتحققّ فيما بعد. فمادّة الخيال العلمي تقدّم المتعة في القراءة، والإحساس الإنساني، لأنها تعتمد على النزعة الإنسانية الواسعة جداً التي يمكن أن تستوعب الوجود الإنساني بتاريخه العريق حتى المستقبل القادم.

• التأريخ للمستقبل هو لعبٌ في مساحة خطرة، لأننا لم نعش هذا المستقبلَ بعد، فنحن في الحاضر. ألا يزعجك الوقوع في بعض الأخطاء فيه؟

أكتب عن المستقبل، ولكن كتاباتي عن المستقبل، ومنذ زمن طويل جداً، تتحدّث عن الفوضى القادمة. وأذكر منها كتاب «أسرار في مدينة الحكمة»، الذي صدر في أوائل الثمانينيات، وتحدّثتُ في هذا الكتاب بمجموعة من القصص، من بينها قصة متعددة اللقطات اسمها «أوراق في مدينة هجرها الحبّ»، وعندما تقرأ الناس تلك القصّة تقول: من المستحيل أن تكون هذه القصة قد كتبت في ذلك الوقت، لأن كلّ ما هو مذكور فيها، يقع في وقتنا الحالي». أيضاً هناك روايات نشرتها ضمن هذا السياق، ويحمل بعضها شيئاً من التشاؤم، مثل «الأزمان المظلمة»، التي كتبتها مع أحداث ١١ أيلول، ولكن قلت فيها إن ما سيأتي بعد أحداث ١١ أيلول يختلف كثيراً عما سبق، وكانت تصوّراً لقرنٍ بدأت ملامحه المرعبة منذ تلك اللحظة، فكلّ الأحداث التي ذكرتها موجودة اليوم في حياتنا. وقد تُرجمت للغة الفرنسيّة من الكاتب «هادي عيّاد» من تونس، ونشرت في عام ٢٠٠٩، ونالت جائزة أفضل رواية عربيّة في الخيال العلمي بتقرير «الأليسكو»، وتُرجمت للفارسيّة أيضاً، ونشرت في عام ٢٠١٦ كطبعة ثانية في تونس، والطبعة الثالثة ستُطبعُ في فرنسا قريباً. أيضاً هناك الكثير من الروايات التي تتحدّث عن تأريخ مستقبلي، وقع قسم منه في سنواتنا هذه، مثل: «بدء السنوات العجاف»، و«دوائر المحن»، و«نداءات الأرض» وغيرها، فكلّ الكتابات التي كتبتها تتحدث عن الأزمة قبل وقوعها.

• هل كتبت شيئاً فيما يتعلق بملامح المرحلة القادمة أي ما بعد الأزمة؟

أقول إن الأزمة التي يمر فيها العالم، وليس نحن في سورية فقط، فهي أزمة كوكب بالمجمل، وهذه الأزمة هي أزمة إنسانية، فالإنسان فيها سيحصد نتائج اللعب بطريقة غير طبيعية في حياته، وسيحصد نتائج كارثيّة مستقبلاً، فهناك مخططون مع الأسف الشديد، موجودون في الدول الكبرى التي تخطط للمستقبل القادم، وهؤلاء المخططون يحاولون بطريقة ما إن يبرمجوا العالم كما يريدون. حتى اللعب في الجينات والهندسة الوراثيّة، والتي ربما تحلّ الكثير من المشاكل للإنسان، كالقضاء على الأمراض التي يعانيها، لكن فيما بعد ستكون النتائج كارثيّة؛ إذا استخدمت بطريقة سلبيّة، لكن الطريقة السلبيّة للعلم هي السائدة في استخدامه الآن، والوجه السلبي هو وجه الجّشع، والأنانيّة، والنرجسيّة، والهرطقة.

• كيف يمكن النهوض بعقل الشباب العربي؟ كيف يمكن أن يقبلوا على الكتاب والقراءة؟

بكلّ أسى أقول نحتاج إلى جهود مرعبة حتى نستعيد شبابنا. الآن نحن فقدنا هؤلاء الشباب بطريقة أو بأخرى، ولا نستطيع استردادهم إلا بجهد كبير جداً، وهذا الجهد يجب أن يكون جهداً دولياً، ومؤسساتياً، وجماعياً، واليوم الحكومات العربيّة والقسم الأكبر منهم يجرون وراء المتعة فقط، ودمار الشعب يستمر بذلك، ومن ثمّ لا يفكرون بهؤلاء الناس العاديين، وهم في الأصل من يبني الأوطان، وهم من يبني المراحل المستقبلية.

أقول ببساطة لدينا مال كثير كعرب، ولكن بماذا نستخدم هذا المال؟ الجواب هو بالتطرّف الدّيني، وبالاستهلاك، وبالاهتمام بالميديا المرعبة، التي تأسر الناس، ومن ثمّ تسطيح الفكر، وتخريب الأجيال، ووضعهم في دوائر ضيقة؛ مثل دائرة نحن على الصح والباقي خطاؤون، وهذه الدوائر الضيقة دخلت بيوت الناس كلّها، وجزء بسيط من الناس يدرك أن كلّ ما يخطط له أو يبرمج بطريقة ما؛ هي ما ينخر عظام المجتمع بشكل وحشي. وما يؤسفني اليوم عندما أقارن العقل السوري بغيره أجد فيه أنه عقلٌ لمّاح جداً، ولو منح إمكاناته لكنا منذ زمنٍ بعيد نحلق في الفضاء ببساطة.

• كتاباتك مزيج غريب من الميثولوجيا، والآثار، والاكتشافات العلميّة، والفضاء، وغيرها، فكيف لك أن تمزج بينها جميعاً لتخرج فيها بمادّة تفردت بها عربياً؟

لا أعلم كيف؟! لكني أقولها بشيء من الحزن لست ابن هذا الزمن، ربما فيما بعد قد يتذكرني الناس، ويقرؤون ما كتبت، ويقولون كان لدينا كاتب لم ننتبه إليه، وكلّ ما يحدث الآن وما سيحدث في المستقبل هو ضمن تصوراتي وكتاباتي، وأعتقد أنها قريبة من المنطق العلمي الذي أضعه دائماً في تصوراتي المستقبليّة. وأقول كلّ ما كتبته في ٨٣ مؤلفاً بين قصة، ورواية، وأدب رحلات، وغيرها، كلّها تخضع لهاجسٍ معيّن أتلقفه، وأبدأ العمل به، من دون قصدٍ مني، فأنا أكتب العمل لمرّة واحدة، ولا أقرؤه أبداً، ولا أستطيع مراجعته.

• هل الحس التنبؤي من أولويّات الكتابة في الخيال العلمي؟

طبعاً، وقد قلت لك إن كاتب الخيال العلمي يؤرخ للمستقبل، ففي عام ١٨٦٥ كتب «جول فيرن» من «الأرض إلى القمر»، وفي عام ١٩٦٩ حطّ الإنسان على سطح القمر. كما تحدّث «جول فيرن» عن غواصة الكابتن نيمو في رواية «عشرين ألف فرسخ تحت الماء» وفيما بعد اخترعت هذه الغواصة. أيضاً الكاتب «ويلز» الذي كتب «حرب العوالم» مع بداية القرن العشرين، والتي ذكر فيها «الليزر» ثم اخترع الليزر في عام ١٩٦٠. يعني هناك قضايا تتحقق كما هي. ومن تجربتي أختار رواية «العابرون خلف الشمس» التي كتبتها ١٩٧٩ ونشرت فيما بعد باسم «الزمن الصعب» وهذه الرواية تحدثت فيها عن الأرض بعد المذبحة النووية، وفي عام ١٩٨٧ اجتمع علماء سوفييت وأميركيون، وكتبوا عن المذبحة النووية إذا حدثت فما نتائجها على الأرض، ولو قارنا تقريرهم مع فصل الكوكب المحترق من رواياتي فسنجد أنه مطابق لدرجة كبيرة لما قلت. فالعلم يرتبط بالمنطق دائماً.

• ألا تعتقد بأن الكون هو دماغ كبير فعّال ويمكن لأدمغتنا الصغيرة أن تستقطب شيئاً من أفكاره وصولاً للحقائق؟

نعم من الممكن أن يكون هذا حقيقة، والإنسان يحلم دائماً ويسافر فيها إلى عوالم أخرى، وأنا أهتم بالفلك بصورة كبيرة فأرحل في أحلامي إلى مناطق كثيرة، وأرى أشياء كثيرة، لكن حالة أن أكتب شيئاً ولا أقرؤه أو أراجعه هو شيء غريب يحصل معي، ومن الممكن أن يكون تبرير هذا الأمر أن الإنسان جزء من توليفة كونيّة له علاقة بها، ومن يملك هواجس معينة مسموح له أن يُطلّ على عوالم أخرى ليستقطب فكرة المستقبل.

• كم تمنح الوعي الفلكي العربي والسوري نسبةً؟ وهل تراه فاعلاً في مجتمعنا؟

مع الأسف الشديد أقول: إن الجمعيّات التي انتشرت في بلادنا، هي جمعيّات تعتمد على جمع المعلومات فقط، وتجتهد اجتهادات خاطئة، ولدينا في سورية نحو ١١ مختصّاً في مجال الفلك، ولا أحد منهم ينتسب إلى هذه الجمعيّات، لماذا؟ وحتى الجمعية الكونيّة السوريّة لم تعد بنشاطها السابق.

أما الجمعيّة الأخرى «هواة الفلك» فعليهم أن يكونوا أكثر دقّة، وأن يعتمدوا العلم، ومنطقه، فالعلم والبحث العلمي ليس هواية، ويجب على الباحث أن يتعمق في البحث العلمي، ويقدّم الكثير من الجهد حتى يدخل عمق البحث، لا الدخول بصورة سطحية إليه. وأقول لهم كونوا أكثر دقّة ولا يغركم الظهور عبر شاشات التلفزة.

> بعض من فناني اليوم كارثة يعتقدون أنفسهم أنصاف آلهة

خانات دمشق... إرث عمراني فريد

دمشق – منير كيال

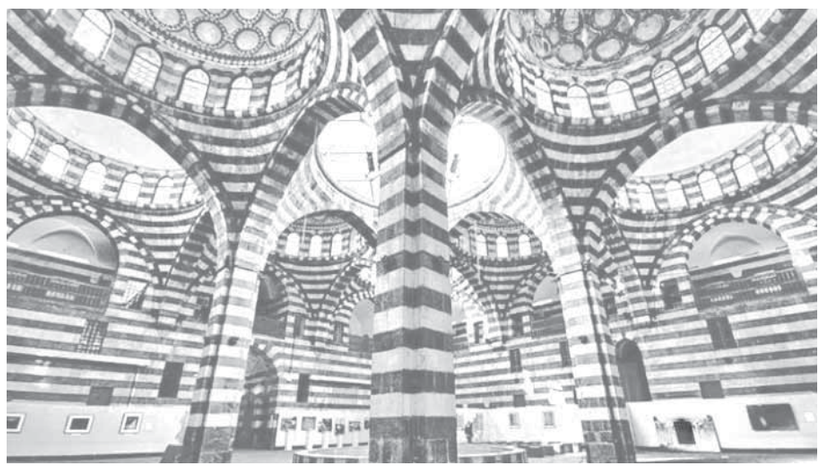

كان لموقع مدينة دمشق على طريق القوافل التجارية، أن لعبت هذه المدينة دوراً مميزاً كمحطة تجارية كبرى، الأمر الذي تطلب إنشاء منازل يستريح بها المسافرون والتجار من وعثاء السفر، وتكون لهم أمناً ومأمناً، على غرار المنازل التي كانت على طريق الحج الشامي على وجه خاص... وقد أطلقت على هذه المنازل عدّة تسميات كان منها: الوكالة والقيسرية، وأحياناً الفندق، ثم غلب عليها اسم الخان، والخان كلمة تعني ملك ورئيس، كان يُلقب بها أمراء التتار، وهي من ألقاب ملوك الفرس والسلاطين العثمانيين، وكان يطلق اسم الخان عند الأتراك على الفندق، ومنه أخذه العرب.

وقد اهتم ببناء الخانات الملوك والولاة وأهل اليسار من محبي الخير العام، أكان ذلك بخانات الطرق العامة أم بالمدن، وذلك لمبيت القوافل وأبناء السبيل، وقد حبسوا (أوقفوا) لها الأوقاف لصيانتها، والإنفاق من ريعها على وجوه الخير وعلى العاملين والقائمين عليها، بل النازلين فيها، فضلاً عن إيواء اليتامى والفقراء وأبناء السبيل، حسبة لله تعالى. يُبنى الخان من الحجر، على هيئة أقرب إلى الحصون والقلاع منه إلى الدور، وهو على الأغلب على شكل ساحة مربعة حولها غرف في طابقين، وفي جوانب هذه الساحة (الباحة) الإسطبلات، ومن هذه الإسطبلات ما كان لها معالف تربط عليها الدواب.

وكان المسافرون يبيتون بالطابق العلوي، وتترك الحيوانات بالطابق الأرضي ونجد بدمشق خانات حملت اسم بانيها كخان أسعد باشا، ومنها ما نسب إلى سواد النازلين بالخان كخان الحماصنة وسوق مدحت باشا، ومن الخانات ما نسب إلى السلعة أو الحرفة التي بالخان، ومن ذلك خان الزيت وخان الدبس وقد كثر بناء الخانات بدمشق في العصرين المملوكي والأيوبي، لكن ما بقي منها ماثلاً يعود معظمه إلى العصر العثماني، يوم كانت دمشق تغص بالتجار من مختلف الأجناس، ومركزاً لالتقاء القوافل الوافدة إليها، الأمر الذي أدى إلى اتساع أسواق دمشق، ومن ثم بناء خانات جديدة اتخذت منازل للتجار الوافدين إلى دمشق وبضائعهم.

وقد تميزت الخانات التي تعود إلى القرن السابع عشر والثامن عشر بالقباب التي تغطى باحاتها (ساحاتها) اتقاء للأنواء من حر وقر وأمطار، وهذا أمر ساعد على الإفادة من هذه الباحات لتخزين البضائع.

وكان من تزايد أعداد الخانات بدمشق بهذه الحقبة أن فاق عدد خانات هذه المدينة ١٣٠ خاناً، كما يذكر القساطلي في كتابه الروضة الغناء بدمشق الفيحاء، وقد كان خان أسعد باشا والي دمشق أهم وأميز وأبهى هذه الخانات، كما أنه أهم خانات المشرق العربي، وقد امتاز بضخامة البناء وروعة التصميم وفخامة المدخل فكان أجمل ما بني بدمشق من الخانات، وهو يقع بسوق البزورية على مقربة من قصر أسعد باشا الذي يُتخذ متحفاً للتقاليد الشعبية في هذه الأيام، فقد وظف أسعد باشا لبناء الخان إمكانيات العمارة السورية في تلك الأيام، حتى إن لامرتين عندما زار دمشق سنة ١٨٣٣م اعتبر هذا الخان أفضل خانات بلاد المشرق، وقال إن هذا الخان يذكره بفن عمارة البندقية في عصر النهضة، وأجمل ما في مدخل هذا الخان المقرنصات الحجرية المحمولة على ثلاث أقواس نصف دائرية تستند إلى ثلاثة أعمدة. وبكل جانب من هذا المدخل، أما باحة الخان، فقد بلغت مساحتها ٧٢٥ متراً مربعاً، وتتوسطها بركة كبيرة، وفوق هذه الباحة ترتفع قبة مركزية كانت قائمة على أربعة أعمدة تشكل عقدة الوسط بين قباب الخان التسع التي ترتفع إلى نحو ٢٠ متراً وهذه القباب محمولة على ٢٥ عقداً حجرياً تستند من ناحية إلى الأعمدة الأربعة التي تحمل القبة المركزية من جهة، كما تستند من الجهة الأخرى إلى جدران الخان المحيطة بالباحة.

وقد استخدمت هذه الخانات للمسافرين كما استخدمت للتجارة واستخدمت خانات أخرى لأغراض لا ترتبط بالوظيفة التي قام الخان من أجلها، فمن الخانات التي لم ترتبط بوظيفتها، ما استخدم لتزجية الوقت والتسلية فكانت كالمقاهي لشرب القهوة وتناول الشاي وتدخين الأركيلة واللعب بالنرد (طاولة الزهر) والشدة أو الاستماع إلى الحكواتي، فهي في ذلك كالمقاهي ومن هذه الخانات ما كان لبيع الخمور وتناولها ومنها الخان الذي كان بالقرب من قبة الفحم، كما أن من الخانات ما كان للعاهرات وللخمور كخان الزنجاري بظاهر العقيبة بدمشق وقد هدم هذا الخان وبني مكانه مسجد التوبة المعروف. ومن الممكن إضافة خانات أخرى إلى هذا النوع من الخانات التي تخلت عن وظيفتها، وتنطبق هذه الإضافة إلى الخانات التي كانت بأطراف خارج سور دمشق، وقد أطلق عليها اسم خان جوازاً، لعدم توافر المواصفات العمرانية والوظيفية التي كانت عليها الخانات العامة، لكونها أشبه بالزريبة التي تؤوي الحيوانات، وتستوعب الوافدين إلى مدينة دمشق للعمل بالمياومة، والقادمين من البلدان والقرى المحيطة بدمشق حاملين معهم ما يرغبون في بيعه، من مشتقات الألبان والبيض ونحوها من المحاصيل البسيطة أو الخفيفة، فيتركون رواحلهم بذلك الخان، ويعمدون إلى بيع ما معهم وقضاء حوائجهم وشراء مستلزماتهم ثم يقفلون عائدين إلى قراهم بعد أن يأخذوا رواحلهم.

أما ما كان للمسافرين من الخانات، فكان أصحاب الخان يؤجرونه إلى أناس وهؤلاء يأخذون من المسافرين أجر المبيت بالخان، وهذا الأجر حسب المكان في الخان، ومدة الإقامة به، وهذا الأجر طفيف يمكن أن يتحمله كل إنسان، ومن هذا النوع من الخانات ما كانت غرفة مفروشة أو بلا فرش.

أما الخانات التي حافظت على وظيفتها، فهي خانات التجارة، وقد توضعت هذه الخانات (انتشرت) في إطار مدينة دمشق القديمة، بين الجامع الأموي وسوق مدحت باشا بما في ذلك سوق البزورية وسوق الحرير وسوق الخياطين فضلاً عن الخانات التي كانت بسوق العتيق والعقيبة ما تتطلبه حركة الأخذ والعطاء (البيع والشراء) وكان من أهمها:

خان أسعد باشا بالبزورية وهو الخان الذي أتينا على ذكره بهذا البحث وخان الصدرانية أيضاً بسوق البزورية ثم خان الدكّة وخان الزيت وخان سليمان باشا المعروف بخان الحماصنة، وخان جقمق الذي يعود إلى العصر المملوكي هو بسوق مدحت باشا، ثم خان الجمرك وخان الحرير وخان الحرمين (الجواري) بسوق الحرير إضافة إلى خان الدبس وخان البطيخ بسوق العتيق.

وخانات التجارة التي نحن بصددها مبنية من طابقين، وغرفها بمنزلة دكاكين للتجارة يعرضون بها ما خف وزنه وغلا ثمنه، من أقمشة الحرير والملابس، أما بضائع مال القبان كالرز والسكر والسمن فتوضع في باحة الخان. وكان لكل من هذه الخانات بواب يستأجر باحة الخان، وله أن يأخذ مبلغاً من المال عن كل وحدة تخرج من الخان من المشتري، ثم أصبح التجار البائعُون هم الذين يدفعون للبواب أجراً مقطوعاً.

ولكل بواب خان مساعدان، أحدهما الناطور الذي يقوم على حراسة الأرزاق التي بباحة الخان ليلاً وفي الصباح يسلم هذا البواب ما كان بعهدته من الحراسة مقابل أجر يتفق عليه مع البواب، أما المساعد الثاني فكان يقوم بكنس وتنظيف باحة الخان.

وكان لبعض التجار النازلين بالخان أمام أبواب غرفهم تخوت أو دكك يجلسون عليها وأمامها كراسي لجلوس المشترين، كما كان لكل خان حزامون لحزم البضائع للتجار مقابل أجر لكل حزمة واحدة (فردة) والحزمة يكون حزمها متيناً بحيث لا يمكن أن يتخلخل حزمها أو ينفرط مهما كانت مسافة نقلها طويلة، ذلك أن الحزامين مختصون بهذا العمل، ومن ثم لا يجوز لغير حزامي بضائع هذا الخان العمل بخان آخر، لأن لكل خان حزامين وحمالين خصوصيين لا يجوز لغيرهم العمل بخان آخر.

ولعل من المفيد بختام هذا البحث الإشارة إلى ما كان عليه التجار في تلك الفترة، فقد كان لكل من التجار المتوسطي الحال كاتب مختص يزوره مرة أو مرتين بالأسبوع ليسجل له مبيعاته ومشترياته، وخلال فترة غياب ذلك الكاتب كان التاجر يطلب إلى من يعرف الكتابة أن يسجل له على ورقة عادية (طيارة) ما يبيع أو يشتري، حتى إذا جاء الكاتب يسجل ذلك في الدفتر (السجل) وكان الأكثرية المطلقة من التجار أمينة على ما يستودعها الناس، وهي صادقة في تعاملها، والتاجر يحافظ على كلمته، ذلك أنه كثيراً ما كان البيع والشراء في الصفقات الصغيرة والمتوسطة بالقول فقط، فمن باع لا يرجع ومن اشترى لا يقلب مهما قد يناله من الخسائر، ولم تكن تعرف الكتابة بالبيع والشراء إلا في الصفقات الكبيرة وقد أنشأت الحكومة العثمانية محكمة للتجار بدمشق، بقيت هذه المحكمة ثلاث سنوات لم يدخلها شاكٍ رحم الله تلك الأيام.